

المطبات الوبائية في الطريق إلى منافسة القوى العظمى

ريتشارد ل. راسل، دكتوراه

أستاذ في شؤون الأمن القومي، مركز نيسا للدراسات الاستراتيجية

9 نيسان / أبريل 2020

إن جائحة فايروس كورونا أخذت في تدمير قطاع الصحة والمجتمعات والاقتصادات في العالم. ولم يتم بعد رؤية الدمار الشامل للتهديد العالمي، ولكن له بالفعل تأثير ملحوظ على السياسات والأمن الدوليين. ويمكن رؤية التداعيات الأمنية في المراكز الجيوسياسية للقوة العالمية في كل من أوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا وكذلك في الشرق الأوسط وجنوب ووسط آسيا.

ويتسبب الوباء في جعل الطريق وعرة بشكل خاص للملاحقة الاستراتيجية الأمنية والدفاعية لإدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، وذلك من الشرق الأوسط والإرهاب نحو المنافسات مع القوة العظمى. وقد أوضحت إدارة ترامب خريطة الطريق الاستراتيجية تلك في وثائق الأمن القومي واستراتيجيات الدفاع. ويعود السبب في ذلك بشكل صحيح إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد وضعت تركيزاً غير متناسب من الاهتمام الاستراتيجي والدم والثروة منذ هجمات تنظيم القاعدة في 11 أيلول / سبتمبر 2001 على مكافحة الإرهاب ومكافحة التمرد والصراع في الشرق الأوسط وأفغانستان. ويدفع هذا بقوة إلى أن هذا الاهتمام غير المتناسب قد أدى بالتركيز الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية ومواردها وقدراتها التي تقف وجهاً لوجه مع القوى العظمى التقليدية المنافسة - وخاصة الصين وروسيا - إلى التلاشي.

ويمكن للمرء بالفعل أن يلاحظ العلامات الواضحة لقيام إدارة ترامب بتقليل اهتمامها وتقليص الموارد المخصصة لمكافحة الإرهاب ومكافحة التمرد والقضايا الأمنية في الشرق الأوسط.

● لقد قامت الإدارة فجأة بسحب الأصول القتالية التي كانت عبارة عن حملة مؤثرة وفعالة نسبياً من "اقتصاد القوة" لمكافحة التمرد، والتي كانت تهدف إلى دحر المكاسب الإقليمية لتنظيم الدولة الإسلامية في سوريا والعراق. وتبدو الإدارة الآن قانعة في مسألة السماح لروسيا وتركيا بتولي زمام القيادة في العمليات في سوريا اليوم على الرغم من الانتهاكات الجسيمة لروسيا لمبادئ الحرب العادلة في الحرب وذلك مع الهجمات المستمرة التي تشنها على المدنيين، وأيضاً مع احتضان تركيا للمقاتلين الإسلاميين.

● وفي تلك الأثناء، تبدو إدارة ترامب بأنها عازمة على تقليص عدد القوات الأمريكية في أفغانستان. فقد أبرمت صفقة دبلوماسية مباشرة مع حركة طالبان لتسهيل عملية الانسحاب وذلك بغض النظر عن رغبة الحكومة الأفغانية. وعلاوة على ذلك، فإن ضغط حركة طالبان المستمر في ساحة المعركة لم يعرقل خطط الإدارة للانسحاب من أفغانستان. ويشك المرء في أن إدارة ترامب تقيس وبحق بأن الجمهور الأمريكي قد فقد حماسه المحدود للعمليات العسكرية في أفغانستان وذلك بالنظر إلى مقتل أسامة بن لادن في عام 2011، واستمرار الوفيات في صفوف القوات الأمريكية والفوضى السياسية والفساد في كابول.

● وفي الوقت نفسه، يساهم فايروس كورونا في تقليص ودمج مختلف القواعد التابعة لقوات العمليات الخاصة الأمريكية في العراق. وقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية في البداية بسحب قواتها المقاتلة من العراق في عام 2011. وقد كانت القوات موجودة هناك منذ غزو البلاد في عام 2003 وبعد الإطاحة بنظام صدام حسين، ولكن تمت إعادة إدخال قوات العمليات الخاصة في عام 2014 من أجل هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية واستعادة السيطرة على المساحات الكبيرة من الأراضي التي سيطر عليها التنظيم في العراق. ومع التقييم الذي أجرته إدارة ترامب بأن "تنظيم الدولة الإسلامية قد هُزم"، فقد غادرت قوات العمليات الخاصة الأمريكية العراق. ومع ذلك، يخشى بعض الاستراتيجيون

الأذكياء من أن هذا الانسحاب سيفتح نافذة من الفرص أمام تنظيم الدولة الإسلامية لإعادة الظهور في العراق وذلك مثلما تمكّن تنظيم القاعدة من إعادة تشكيل نفسه بعد انسحاب القوات الأمريكية في عام 2011.

وإن النقطة الشائكة لانسحاب إدارة ترامب من الصراع في الشرق الأوسط هي الصراع الدائم مع إيران. وتواصل الميليشيات العراقية المدعومة من قبل إيران تهديد الوجود العسكري والدبلوماسي الأمريكي في العراق. وقد أدّى التصعيد على هذه الجبهة إلى دفع إدارة ترامب إلى قتل قائد فيلق القدس الإيراني قاسم سليماني في كانون الثاني / يناير 2020، حيث رد الإيرانيون من خلال إطلاق صواريخ باليستية على القوات الأمريكية المتمركزة في العراق. ويبدو بأن التوتر قد بدأ في التزايد مرة أخرى بين واشنطن وطهران، وهو الأمر الذي قد يؤدي إلى جولة أخرى من التصعيد والضربات العسكرية. وتحاول الولايات المتحدة الأمريكية تجنب الدخول في مثل تلك المواجهات العسكرية وذلك من خلال قيامها بنشر حاملتي طائرات في منطقة الخليج.

ومع ذلك، فإن نشر حاملتي طائرات في الخليج قد سبب ضجة بين الاستراتيجيين الذين دعوا إلى المزيد من الاهتمام بالمنافسة مع القوة العظمى مثل الصين وروسيا. ويشكو الاستراتيجيون البحريون الأمريكيون، على وجه الخصوص، من أن البحرية الأمريكية في المستقبل سيكون لديها عدد قليل جداً من السفن القتالية لمنافسة الصين على الممرات البحرية في آسيا. ومن وجهة نظرهم، فإن تحويل حملات الطائرات الأمريكية إلى الخليج للتحوط ضد إيران يزيد من استفاد البحرية الأمريكية في آسيا. وإن الأمر الأكثر إبلاماً بالنسبة للاستراتيجيين البحريين هي عملية الإرساء الأخيرة لحاملة الطائرات يو إس إس تيدي روزفلت في جزيرة غوام وذلك بسبب تعرّض أفراد من طاقمها للإصابة بفايروس كورونا (كوفيد-19). ويجب عليهم أن يشعروا بالقلق أيضاً من التقارير التي أفادت بأن حاملة طائرات أخرى، يو إس إس رونالد ريغان، التي رست في اليابان، قد تعرّض طاقمها أيضاً للإصابة بفايروس كورونا. وإن ما يزيد الأمر سوءاً بالنسبة للاستراتيجيين البحريين ذوي النفوذ الكبير هو قيام الرئيس ترامب مؤخراً بإصدار أمر بزيادة الأصول البحرية الأمريكية لعمليات مكافحة المخدرات قبالة سواحل فنزويلا، وهو النشر الذي سيزيد من تقليل الأصول الأمريكية المتاحة للعمليات في المحيط الهادئ.

وباختصار، وخلال الوباء العالمي، تسير السياسات الوطنية والدفاعية الأمريكية على طريق وعرة التي تحوّل الانتباه والموارد إلى المنافسة مع القوى العظمى مثل الصين وروسيا. وإن الجهود المبذولة لتقليص عمليات مكافحة الإرهاب ومكافحة التمرد في سوريا والعراق وأفغانستان ضد تنظيم الدولة الإسلامية وحركة طالبان، على التوالي، تجري على قدم وساق. ولكن الولايات المتحدة الأمريكية تخوض الآن أزمة في إيران مع عدم وجود أيّ "تسوية دبلوماسية" على المدى القريب التي تربط الأصول العسكرية الأمريكية التي يُريد الاستراتيجيون تحريرها على المسرحين الأوروبي والآسيوي. وتُضيف جانحة فايروس كورونا طبقة أخرى من التعقيد لأنها تُعيق وبشكل ملحوظ بعض القوات البحرية الأمريكية، وقد يكون لها تأثيرات مماثلة في صفوف الخدمات العسكرية الأمريكية الأخرى.

إن الآراء الواردة في هذا المقال هي آراء الكاتب ولا تمثل بالضرورة آراء وزارة الدفاع أو مركز نيسا أو أي من جهات الحكومة الأمريكية.